http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1998) السنة الثامنة - الاثنين (27) كانون الاول 2010

رغم كل الدعوات الظلامية لقتل الابداع

اقبـال كبـير علـى اكاديميـة الفنون...والطلاب يتحدثـون عن كسر التقاليد وطفر الموانع

وائـــل نـعـمـة
تصوير / ادهم يوسف

هل يمكن تصور تقدم ونهضة بدون فن؟ وما هي نسب مجازفة طلبة كلية الفنون ، وسط محاولات البعض فرض بعض الاراء والقرارات المقيدة للحريات؟ وما مدى تأثير الافكار الظلامية على الطلبة؟

هذه الاسئلة وغيرها كانت حاضرة في ذهني وانا اتوجه الى اكاديمية الفنون الجميلة التي وجدت مناسباً ان ابدأها بقصة مريم التي استطاعت تجاوز كل العقبات وتحقيق مآربها بالدخول في اكاديمية الفنون. وقصة مريم تبدأ مع دوائر صغيرة متداخلة مع بعضها،تخترقها الخطوط العبثية،الوان غير متجانسة، ورسوم مختلفة فسمكة هنا،وشجرة هناك. هكذا كانت بدايات مريم مع الرسم التي ظهرت منذ نعومة اظافرها.فاللوحات غير المعروفة،والشخصيات الافتراضية التي كانت تخترعها من بنات افكارها وتضعها على كراستها الوردية،جذبت انظار الام اليها، التي راحت تشجعها على ان تقضي اوقات فراغها بعد الانتهاء من فروضها المدرسية بمسك الالوان واختراق بياض الاوراق بشخصيات كارتونية و مناظر طبيعية.

تنامت الموهبة لدى مريم الصغيرة،ولفتت انظار الاب،القاسي الطباع،لكن لم يستطع الا ان يبعد سحابة الغضب عن قسمات وجهه،ليبتسم امام موهبة ابنته،التي راحت تتنوع يوما بعد يوم لتمسك بـ"صابونة" الغسيل لتنحت عليها أشكالاً مختلفة،ووبخت أكثر من مرة لانها تعبث بالطين واي مواد بناء تقع بين يديها، محاولة ان تصنع منها صحنا او كأسا او اي شيء آخر شبيه بأدوات المطبخ.

كانت موهبتها قد طغت على دراستها،وباتت لاتحب غير الرسم والنحت،تعثرت بالدراسة لمرات عدة،لانها تقضي معظم وقتها في الرسم،استطاعت ان تشارك في معارض فنية في ايام الابتدائية واستمرت حتى المتوسطة،حينها قررت الالتحاق بمعهد الفنون الجميلة لتكمل مشوارها.

لامشكلة مع الاناث

المعهد كان قد فصل عن الذكور،لذلك لم تلق مريم معارضة شديدة من والدها،رغم اصراره على اكمال دراستها في مدرسة اعدادية والدخول الى احدى الكليات الهندسية او العلمية،لكن تعثر مريم في الدروس اجبر الاب على الموافقة،على الرغم من اعترافه بموهبتها التي كانت المحرك الاساسي في اصرارها على الالتحاق بالمعهد،لكنه كان لايرى ان الموهبة لوحدها كافية لان يدير الانسان دفة حياته باتجاهها ويقرر دراسة شيء لاينفع في المستقبل كما كان يقول لها دوما!

لم تتراجع موهبتها في المعهد،بل على العكس تطورت وصقلت بالدراسة،واكدت للجميع بانها موهوبة وانها ستكمل في هذا المجال الى النهاية،حتى استطاعت ان تكون من العشرة الاوائل في المعهد ويكون الطريق امامها معبدا للدخول الى اكاديمية الفنون الجميلة.

مريم هذه المرة كانت مترددة بعض الشيء من الدخول الى الاكاديمية،نظرا لما كانت تسمعه من كلام وضجة حول طبيعية الاكاديمية والنظرة المتدنية التي كان ينظر بها البعض الى معقل الفنون في بغداد،لكنها أصبحت بين نارين،نار موهبتها وطموحها،ونار رفض الاب والاقارب والجيران لدخولها الى الاكاديمية،لم يكن غير صوت والدتها الخفيض هو من يشجعها بالسر،ويدعمها ويطلب منها ان تواصل مسيرتها.

التماثيل الاصنام

وكانت وقتها قد تضاربت انباء تتحدث عن نية وزارة التربية اصدار قرار بمنع تدريس مادتي المسرح والموسيقى في معهد الفنون الجميلة ببغداد ورفع التماثيل من مدخل المعهد دون إبداء الأسباب.. ومع ان الوزارة من جانبها نفت نيتها بالقيام برفع التماثيل او منع تدريس اي من المواد،غير ان ما يثير الخوف الكبير عند الطلاب في المعهد والاكاديمية ايضا ان يصبح هذا الامر حقيقة وان ينسحب القرار على كلية الفنون الجميلة، بفعل تأثير بعض الافكار الظلامية التي تحاول ان تخنق جو الحريات.

ريم كسرت حاجز الخوف من الدخول الى الاكاديمية،واستطاعت ان تبرم اتفاقاً مع والدها،يتضمن قيامه بعد فترة من انتظامها بالدوام بزيارة الاكاديمية والتأكد من انها تقدم فنا نبيلا كما كانت مريم تحاول القول له دائما.

لاشك في ان اليوم الاول في الحياة الجامعية يكون له طعم مميز يختلف عن باقي الايام،ولم تكن مريم متلهفة للدخول الى الكلية فقط،وانما كانت تريد الدخول الى مراسمها وقاعاتها،وكانت تريد ان تضع بصمة لها في كل ركن من اركانها. ربما نسيت بعض الشيء الكلام الذي دار قبل ايام مع والدها،والاتفاق الذي التزم به،او بالاحرى اصبحت واثقة منذ اليوم الاول بانها لن تبرح ارض هذا المكان مالم تحقق ماتصبو اليه،وفي الاقل ان تتخرج قبل ان تقطع احلامها "فرمانات" اجتماعية وتقاليد بالية وافكار رجعية.

الكلام الذي يدور حول منع المسرح ومنع الموسيقى وان التماثيل التي تنحت من قبل الطلاب او الفنانين في داخل الاكاديمية هي اصنام،لم نجد له صدى بين الطلاب،فهم قد سمعوا بذلك عبر وسائل الاعلام ومن الجهات المتشددة ومن الذين يريدون ان يتصيدوا بالماء العكر، لكن حبهم لدراستهم وموهبتهم اكدت وبشكل لايقبل الشك ان هذا الكلام لن يجد طريقه اليهم.

ربما كانت مريم مثالاً حياً على هذا الكلام فهي الفتاة التي استطاعت ان تقدم فكرة اخرى عن الاكاديمية وجعلت والدها يفخر بوجودها بين زملاء واساتذة يعشقون الفن،ووجهت دعوة مفتوحة الى كل شخص لزيارة الكلية لتقول لهم "بعد اسوار الاكاديمية هناك حياة اخرى"!

في الطريق الى الاكاديمية

كنا اول من لبى دعوتها،واخترقنا شوارع باب المعظم المكتظة بالسيارات،وصولا الى باب الاكاديمية،لكن الغريب اننا كنا قد شاهدنا في تقاطع قريب من الاكاديمية لوحة تخطيطية ترشد الى اسماء الدوائر الحكومية،مثل المعهد القضائي والاحياء السكنية المحيطة لكنها لم تشر الى وجود الاكاديمية!

اجراءات روتينية للدخول الى الاكاديمية،حينها كانت اولى محطاتنا في الكافتريا،حيث اصر زميلي على شرب الشاي!

لم نجد مكانا للجلوس،فكل الطاولات مملوءة، وبعد انتظار دقائق وجدنا شخصا يجلس لوحده وبجانبه اكثر من كرسي فارغ، استأذنا منه للجلوس،فرحب بنا.

دار حديث غير متفق عليه،اكتشفنا من خلاله انه كان قد تخرج من قسم التشكيلي قبل اكثر من ١٤ عاما وهو من سكنة البصرة،وقد جاء الى الكلية لاسترجاع ذكريات قديمة،وللقاء بعض الاصدقاء. تحدث سجاد عن ايامه في الكلية ليؤكد انها لم تختلف كثيرا،ربما يشعر ان هناك بعض القيود التي فرضت على حياة الطلاب، التي لمسها من تصرفات البعض، وارتفاع مستوى الحساسية والتكلف في الكلام بين الطلاب والطالبات،فيما كانت بالسابق اكثر بساطة –على حد تعبيره– ، معتقدا في الوقت نفسه ان هذه القيود ربما تكون اسبابها تتعلق بوضع الشارع العراقي،الذي ينعكس على تصرفات الطلاب بشكل او باخر.

حين كنا جالسين في الكافتريا جذب انتباهنا وجود شخص يحمل آلة العود ويتجمع حوله عدد غير قليل من الطلاب يدندنون معه عددا من الاغاني الكلاسيكية والقديمة لعبد الوهاب وام كلثوم، في ظاهرة ربما قد انحسرت كثيرا مع ازدياد موجة التشدد الديني ورفض البعض للموسيقى و الغناء حتى في مهرجانات دولية كما حدث في مهرجان بابل.

الباحة الرئيسية للكلية

مصادر رسمية في الاكاديمية" الغاء زمالات فرنسية لقسم الموسيقى"!..والبعض ترك الرسم بسبب ضغوط دينية

د. عقيل مهدي – عميد الاكاديمية

فك طلاسم الكلية

خرجنا بعد ذلك الى الباحة الرئيسية في الاكاديمية،فكانت الاجواء جميلة، حيث اجتمع الطلاب مع بعضهم ليتحدثوا عن الموسيقى والمسرح وعن السينما والرسم والنحت،واختفت الكلمات المتشنجه و التجاذبات السياسية،فهذه مصطلحات ربما لن تسمعها في مكان ينطلق من كل ركن من اركانه مشهد تمثيلي او لحن موسيقي او لوحة فنية.

فك لنا الطلاب عبر كلام دار بيننا وبينهم رموز الكثير من الطلاسم التي تدور بشأن الاكاديمية،استغربنا قدرة الارتجال والتعبير عن حالتهم ومدى تحمسهم لدراستهم وبعملهم المستقبلي، فكان حتى طلبة المرحلة الاولى يحملون فكرة يمكنها ان تصد اي هجمة ظلامية تريد ان ترجع عقارب الساعة الى الوراء،و الشيء نفسه عند الطالبات اللاتي كن يحملن قضية يسعين الى ايصالها عبر فرشاة رسم او لوحات طين او لحن موسيقي.

لبنى الطالبة في المرحلة الاولى قسم السمعية والمرئية اشارت الى ان احد عمومتها اخذ اخاها الاكبر في اخر زيارة الى منزلهم بعيدا عنها ليهمس في اذنه "شلون خليت اختك اداوم بالاكاديمية"!ولم يكن رد الاخ مقنعا اليها،حيث قال له انها كلية شأنها شأن كل الكليات الاخرى. لكنها اتصلت به بعد ذلك، لتؤكد له بانها تحب الفن وتحب دراستها،وان الفكرة التي يحملها غير صحيحة وبالتاكيد سيغيرها حينما يطلع على وضع الاكاديمية والدراسة فيها.

دفعت باصابعها خصلات شعرها المتدلية على عينها واستدركت قائلة " تعرضت لبعض المضايقات من اشخاص خارج الكلية عندما يعلمون اني طالبة في اكاديمية الفنون"،لكنها تفضل عدم الاصطدام المباشر معهم في كل الاوقات،بل انها تنتظر الفرصة المناسبة حتى تؤكد لهم بالدليل القاطع انها تحمل رسالة فنية تريد ان تترجمها عبر دراستها وعملها في التصوير والعمل التلفزيوني،ورغم وجود جهات لم تسمها بالتحديد حاولت في السابق وتحاول بين فترة واخرى ان تقدم النصيحة –كما يدعون– بارتداء الحجاب او بعدم ارتداء "الجينز" الا انهم يفشلون دائما لانها لاتستمع الى الاصوات النشاز–على حد تعبيرها–

فيما التقينا بالقرب من احد التماثيل الفنية في حديقة الاكاديمية بمحمد راضي،الذي كان يرغب في دراسة الهندسة المعمارية،لكن معدله في السادس الاعدادي لم يسعفه،لذلك وجد في قسم التصميم الداخلي بكلية الفنون الجميلة مايبحث عنه.

يشير محمد الى ان هذا القسم يختص بصناعة الديكورات وملء الفضاءات في القاعات وعلى خشبات المسرح،لكن الكثير لايفهم دراسته للديكورات،ويتعرض لانتقادات من اصدقاء له خارج الاكاديمية، تدور بشأن الفن بشكل عام،وعدم ملاءمته لطبيعة المجتمع العراقي كما يعتقدون!

و يشدد على ان اغلب المنتقدين يرغبون في ان يكونوا في مكانه بالاكاديمية،سيما انه لمس ذلك عن طريق نظراتهم التي شاهدوا من خلالها الاكاديمية في اخر زيارة لهم،والتي اكدت له انهم يقولون شيئاً ويخفون في صدورهم اشياء اخرى.

يجهلون دراستنا!

بالمقابل يؤكد زميله سعد ان الكثيرممن ينتقدون طلاب الاكاديمية جاهلون لطبيعة دراستها،ما يدعوهم الى وصف المتخرجين منها بـ"الطبالين" ونعوت اخرى متداوله في الشارع.

ويشدد سعد على اهمية دور الاعلام في ابراز اهمية الاكاديمية والفن بشكل عام،كما اشار الى ان القبول في هذا العام على الكلية كان كبيرا جدا، لاسباب تتعلق بحضور عدد من وسائل الاعلام الى الاكاديمية والتعريف بها وباقسامها، بعد ان تراجع عدد المتقدمين في السنوات السابقة،وتدنت نسبة المتخرجين،سيما ان البعض منهم كان قد ترك الدراسة في السنة الاولى والثانية،ماوصل الحال في بعض الاقسام الى تخريج دورة تقل عن العشرة طلاب فقط –على حد تعبيره– في حين اشار سرمد طالب المرحلة الثالثة في فرع التلفزيون من قسم السمعية والمرئية، الا انه يتجنب النقاش مع بعض الاشخاص الذين يكيلون التهم الى الاكاديمية و الطلاب،ويؤكد ان الدراسة والمنهاج ليست بعيدة عن اعراف المجتمع او تقاليده ونحن ننتج الفن وليس شيئا اخر.

بعدها قررنا الانتقال الى قسم التشكيلي ودخلنا احدى الورش الفنية في قسم النحت،حيث التقينا بعمار الطالب في المرحلة الاخيرة، وتحدثنا عن الانباء التي دارت حول حرمة التماثيل،حيث اشار الى ان الفكرة في نحت اي عمل فني هي التي تحدد هل هذا التمثال صنما ام لا.

حيث يؤكد ان نبي الاسلام محمد(ص) كان قد رفض في فتح مكة تحطيم تمثال يمثل شخص سيدنا المسيح،بينما اباح تهديم باقي التماثيل التي كانت تمثل الاصنام.

ويوضح عمار ان التمثال او العمل الفني ان كان لايسيء الى الاسلام او الدين فلا غبار عليه ولايمكن ان يعتبر بمثابة الصنم لانه قيمة فنية،كما يؤكد من جانب اخر ان نحت الاجساد العارية غير ملزم للجميع،فالطالب له الحق اذا اراد ان ينحت بدنا عاريا، وان رفض فهو غير ملام،وهو حر في اختياره.

في قسم النحت

ويشدد على ان الاساتذة في الاكاديمية لايتدخلون في خيارات الطالب ويترك له القرار في نحت الاشياء والاجساد،وان مايشاع من اقاويل بان النحت حرام،فهذا الامر برأي يتعلق بمجموعة من الرجعيين الذين يحاولون ان يصوروا كل شيء يتعلق بالفن والجمال حرام.

اعتراضات شديدة

اثناء حديثنا مع عمار كانت سارة قد استعدت للعمل حيث ارتدت صدريتها البيضاء والقفازات في كفيها ومسكت احدى القطع الفنية لتكملها،واشارت الى ان اعمال الخزف اصعب بكثير من النحت.

سارة في المرحلة الثالثة في فرع الخزف من القسم التشكيلي تؤكد انها واجهت اعتراضاً شديداً من قبل الاهل حين قررت الدخول الى الاكاديمية،ولكن بعد زيارة الاب واخيها الاكبر الى الكلية تفاجؤا بقيمة دراستهم والقطع الفنية التي يقومون بانتاجها،حينها شجعوها على مواصلة دراستها.

وتتمنى سارة ان تهتم الجهات المعنية بقسم الخزف وتفتح لهم المجال في المدارس بتدريسها الى الطلاب بجانب الرسم والرياضة وباقي العلوم.

في حين تؤكد هالة الطالبة في قسم النحت ان العائلة لم تعترض على دخولها الى الاكاديمية،بالرغم من انتقادات بعض الاقارب، لكن رغبتها في دراسة النحت اجبرت الجميع على قبول خيارها.

وهالة لاتنزعج من بقاء الطين بين اصابعها،وتشير الى انها تقضي ساعات طويله بالعمل دون ان تشعر بالملل.

وبعد الانتقال الى قسم الرسم اسعدنا ماشهدناه من انهماك الطالبات الاكثر وجودا في القسم بالرسم على الالواح البيضاء مشاهد وشخصيات مختلفة، وقفنا بالقرب من جيهان طالبة المرحلة الثالثة وهي ترسم صورة رجل عجوز يعمل في الحدادة، وكانت تضرب بالفرشاة على حاجبيه المنعقدين،حين اشارت الى ان الزحامات وانقطاع التيار الكهربائي اكثر مايزعجها ويعرقل استمرارها في العمل بعد مغادرة الكلية،واكدت انها تستمر في الرسم اكثر من خمس ساعات دون ان تشعر بالتعب،ولولا المنغصات –كما تصفها– لكانت انشغلت لساعات اكثر في الرسم.

جيهان تشدد على ان الكلام الذي بدأ يشاع في الاونة الاخيرة بحرمة الرسم وان طلاب الاكاديمية يكسرون التقاليد والاعراف بتجرؤهم على رسم الاجساد العارية امر غير صحيح،ويمكن للطالب ان يختار مايشاء ويرسم مايراه قريبا لقناعاته.

رسم أجساد النساء

فيما أكدت رغد وهي تمزج الالوان مع بعضها على لوحة زجاجية انها مولعة بالرسم منذ صغرها وقد تلقت دعما من قبل العائلة،ولم يقفوا في طريق موهبتها التي ظهرت مبكرا. رغد كانت تتمنى ان تدخل كلية الهندسة،لكن الموهبة كانت قد سبقتها وطغت على الخيارات الاخرى،وكانت تسرع الخطى لكي تواصل دراستها في مجال الرسم،على الرغم من ان الظروف في السنوات السابقة كانت قد اجبرتها على التزام البيت والتاخر ثلاث سنوات عن اقرانها.

تشير الى انها تقدم الفن،ولايهمها مايشاع عن اجواء الكلية وان مايقدمونه مخالف للتقاليد،رغم اعترافها انها تعرضت لضغوط في عملها من جهات معينة،وانها تحاول مع زميلاتها اقامة معرض يحمل رسوم لاجساد نساء،لكنها تواجه معارضة من قبل احدى الجهات الادارية والعلمية في الكلية.

وتصبو رغد مع زميلاتها الى ان توضح للمتلقي ان الرسم لايقف عند حد معين ولن يبقى محتكرا على رسم رجل عجوز او امرأة فلاحة في الحقل، او مناظر طبيعية،وتؤكد انهم لايختلفون عن باقي دول العالم.

وتشدد على ان الطلاب يحتاجون الى الكثير من الاهتمام الذي يصب في صميم دراستهم لتنمية موهبتهم.بالمقابل بعض الجهات الادارية والاكاديمية في الكلية او الوزارة تهتم بوضع العصي في عجلة الفن والموهبة،وبالمقابل يقومون باعطاء الفرص لاشخاص لايستحقونها.

طلاب يتركون الرسم!

من جانب اخر يؤكد الدكتور باسم علاوي رئيس فرع الرسم ان الاقبال كبير على قسم الرسم في الاكاديمية،لان الانسان في فطرته ومنذ صغره يدندن ويرسم خطوطاً غير مفهومة تكون البذرة الاولى للرسم.

ويشدد على ان المقبولين في الكلية في هذا القسم تحديدا يخضعون لاختبارات فنية بالرسم بالقلم الرصاص، وطبيعية سيما فحص الالوان لاهميته في الرسم،بالاضافة الى المقابلة الشخصية.

علاوي يشير الى نقطة مهمة تتعلق بكون اكاديمية الفنون في بغداد كانت الوحيدة في العراق لذلك كانت تستقطب الطلاب من كل المحافظات،وكانت رافدا مهما في تنويع الرؤية الفنية،فنظرة الطالب القادم من شمال العراق تختلف عن نظرة ابن الجنوب خصوصا في اختياره للالوان،لكن بعد ان اصبحت اكثر من كلية للفنون خسرت الاكاديمية هذه الخصوصية.

كما ينوه الى ان الطلاب في السابق كان يخرجون في جولات خارج الكلية الى الفضاءات والى الساحات والشوارع لكي يرسموا على الهواء الطلق،لكن الظروف الامنية والزحامات قد افقدت الكلية ميزة اخرى لها، لان الرسام في القاعة او المرسم لايعطي للرسام ابعادا كبيرة سوى بعض الامتار،بينما في الفضاء يتوفرله كل ذلك وغيره مما يمكن ان يسقطه على اللوحة.

الجدير بالذكر ان بعض الطلاب في هذا القسم اشاروا الى ان عدداً من الطلاب كانوا قد تركوا الاكاديمية لاسباب دينية كما ادعوا في حينها، وانهم لن يستطيعوا الاستمرار في الرسم لانه مخالف لتعاليم الدين!!

اقبال وتدافع على الاكاديمية

بدورها يؤكد عميد الإكاديمية الدكتور عقيل مهدي ان الكلية خرجت عدداً من الفنانين والمثقفين الذين يساهمون وبشكل فعال في دعم الحركة الثقافية والفنية في البلاد وهم مستمرون على هذا النهج، وان الحديث عن اصنام ودراسة بعيدة عن القيم الدينية والاجتماعية امر يراد به تأجيج الوضع في البلاد وتأزيمه،كما يشير الى ان هناك جهات تحاول ان تصب الزيت على النار وتستثمر هذه الفرص.

كما نوه الى ان الاكاديمية تشهد اقبالا كبيرا في عدد الطلاب الذين يرغبون الدخول اليها،فبعد تخفيض سقف المعدل قدم الى الكلية اكثر من ٢٥٠٠ طالب،حتى حدث تدافع وازدحام كبير بين الطلاب المتقدمين ادى الى تخسف سقف احد المباني.

بالمقابل اوضح الدكتور نصيف جاسم معاون العميد ان هناك بعض الاقسام اصبحت مهددة بالاغلاق بسبب عدم وجود الاعلام للتثقيف بشأن دراسة الكلية،وبعد فتح باب التقديم الجديد وتخفيض المعدل استطعنا ان نسد النقص،رغم انها كانت مغامرة مدروسة –على حد تعبيره– كما اشار ان في يوم واحد سحبت اكثرمن ١٢٠٠ استمارة، ولكن الاختبارات الفنية في الكلية رشحت مايقارب المئة طالب فقط، وهذا دليل على الاقبال الكبير وبالمقابل ان الاكاديمية تحافظ على مستوى معين من الطلاب.

وفيما يخص الحديث الذي شاع عن رفع التماثيل التي شبهت بالاصنام،يؤكد ان الطلاب مستمرون رغم هذا الكلام الذي لم نتلق خطابا رسميا بشأنه. كما اشار الى ان الكلية حازمة جدا في التعامل مع الاساتذة في حالة حدوث اي محاولة من البعض في ادارة دفة الكلية الى جهة معينة.

ونوه الى ان الدعم المقدم من قبل الجامعة والوزارة الى الاكاديمية ليس بالمستوى المطلوب،وتعتبر الكلية من القضايا الثانوية.

الجدير بالذكر ان بعض المصادر في ادارة الاكاديمية التي رفضت ذكر اسمها اكدت ان بعض المنح التي قدمت من قبل دولة فرنسا الى اساتذة في قسم الموسيقى بالتحديد رفضت من بعض الجهات المتنفذة في الوزارة،بحجة ان قسم الموسيقى غير مهم!!

طالبة ترسم فرقة موسيقية